

الفصل السابع

الجنس والحياة

كيف يجابه الإنسان مشكلات الحياة ؟ : كل إنسان ذكى بهم بمشكلات الحياة التي يجاها ، فكيف يمكن لهذا الإنسان أن يعد نفسه ليقابل مشكلات هذه الحياة . ويفهم معناها . ويؤكد لذاته أكبر قدر من الصحة ، والسعادة . والفائدة ؟

هذه هي الأسئلة التي تأخذ أهمية خاصة في حياة كل فرد ، وكل أسرة منظمة ، ومع أى مجتمع له هدف بنائى . وتعتبر هذه المشكلات التعبير الخارجى عن الضمير الاجتماعى ، إنها رمز الثقافة ، والمدنية .

إن نظام التعليم ، من أدنى المراحل إلى أرقاها ، من الحضانه إلى الجامعات ، بهم بإعداد الأفراد لمواجهة الحياة ، هذا على الرغم من أن تأثير هذه المؤسسات ليس إلا واحداً من بين عديد من التأثيرات .

إن المنزل بدوره يقوم بتدريب الأفراد ، وتعديل سلوكهم ، وتنظيمهم ، منذ بداية فترة الطفولة المبكرة ، إلى ما بعد ذلك ، ويبدل جهداً مطرداً لإعداد الشاب لخبرات الحياة ، وحتى إذا لم ينجح المنزل أحياناً فلا يلغى ذلك رسالته . وإذا نظرنا إلى الأبوين اللذين يستحقان هذا اللقب ، نجدهما يسعيان جاهدين لتكوين طفلهما حتى يصل إلى مرحلة الرجولة ، أو الأنوثة . ويستطيع أن يحقق وظيفتهما فيتعلم عديداً من المشكلات التي يجابه بها الحياة . وكثيراً ما يتعلم حلول هذه المشكلات بطريقة ضمنية ، تجعله يدرك النتائج دون أن يعى بالخطوات التي مرت

بها ، وهذا يسبب له بعض الأزمات ، لأنه حين يجابه المواقف الخارجية ، لا يمكنه ذكاؤه أحياناً من القدرة على التكيف لما اكتسبه من عادات وتقاليد ، من الصعب عليه إعادة تشكيلها لهجابه بعض المواقف الجديدة .

كما يجار الفرد أحياناً ، ويقف في بلبلة فكرية . حين يجابه ببعض الأسئلة ، أو المشكلات ، التي لم يستطع أن يكون لها تفسيراً واعياً ، لأن أحداً لم يلقنه أى تفسير منذ البداية حول هذه المشكلات . أو أنها مشكلات لم يواجهها على أنها طبيعية . وبيئية . كان من الممكن أن يعلم الكثير عنها بطريقة صحيحة .

ومن بين ما يجب أن يتعلمه الإنسان قبل فترة البلوغ ، وفي أثنائها ، وبعدها ، أن يفهم شيئاً عن الحياة الواقعية . وأساليبها . كما يجب أن يفهم أن كثيراً من مظاهر الجنس مرتبطة بالحياة . وهنا تظهر المشكلة في أن عدداً كبيراً من الآباء عندما يواجهون أبناءهم . يواجهونهم في كل شيء عدا مسألة الجنس . التي يخرجونها من نطاق برنامجهم كلية . بل ويستنكرونها .

إن الجنس في الحقيقة لا يهمل ، كما يتصور هؤلاء الآباء ، بل على العكس من ذلك . ينحرف عن اتجاهه ومكانته الطبيعية . ويحاول الجنس أن يؤكد ذاته ، على الرغم من الإنكار الخارجى . بطرق مقنعة أحياناً ، ومقلوبة أحياناً أخرى ، وغالباً ما ينتهى بتأنيج سيئة .

إن الأطفال فريسة هذا الاتجاه الحاطى ، إنهم يرثون التوجيه المختلف على اعتبار أنه موافق عليه من الناحية الاجتماعية ، ويحملونه معهم حتى

عندما يصلون إلى دور البلوغ ، ويبدأون بالتالى فى توريثه من جديد بنفس الصورة لأبنائهم ، وعلى ذلك تبدأ الدائرة تعود إلى الدوران مرة أخرى ، وببفس الطريقة .

إننا لا نستطيع أن نتنبأ أو نقدر ، مقدار الخسارة التى تلحق بالأفراد ، والجماعات ، نتيجة وضع سياج سرى ، تقليدى ، حول المعلومات التى يجب أن تعرف عن الجنس ، وأهميتها فى الحياة .

إن كثيراً من المحامين ، والأطباء ، يمكن أن يحدثونا عن عدد الرجال والنساء الذين حطمهم ظروف الحياة . لعدم قدرتهم على فهم طبيعة الجنس ، وأن كثيراً من الزيجات قد لحقه الفشل بسبب العجز عن إدراك المفاهيم ، لمشكلات الجنس . وما يخيب الأمل ، أن الأساليب التى تعالج بها مثل هذه المشكلات ، هى أن نغمض أعيننا عنها ونتجنبها كطريق للخلاص .

إن مشكلات الجنس لها جانبها الجمالى . وجانبها الآخر البنائى ، وهما جانبان يجب أن نواجههما كى ندرك حقيقة المفهوم السليم عن الجنس ، وعلى هذا يجب ألا نكون فريسة لتلك المساوئ التى تحدث نتيجة للسكوت الذى نتبعه حول مشاكل الجنس ، التى تعتبر من أكبر حقائق الحياة حيوية .

وأى شئ يمكن أن نتصوره أكبر قيمة ، من الجنس الذى تبينا إياه الطبيعية ، ومعطينا القدرة على استمرار الحياة فوق الأرض ، والمحافظة على النوع ؟ لقد ذكر ستانلى هول فى كتاباته ، أن قصة العالم هى فى

جذورها قصة الحب ، وهو يعنى أن التاريخ بأوسع معانيه . هو تاريخ ، الحياة ، أو التاريخ البيولوجى . وليس فقط التاريخ الحضارى . أو قصص الوطنية ، أو الأجناس البشرية ، بمعاناتها ، ونموها ، وانتصارها . وفشلها ، واندثارها .

ظاهرة الجنس : إن أساس الحياة التى عمادها الصحة والسعادة . له جذوره فى تلك الظاهرة التى نسميها جنساً . فكل أشكال الحياة فيما عدا أحطها . تعتمد على الجنس فى المحافظة على النوع . والجنس يوصف كثيراً على أنه الرباط الذى يربط الحياة كلها بعضها ببعض . إنه بلا نزاع القوة المغناطيسية فى حياتنا المتحركة التى تحوى كثيراً من القوى . وإذا تصورنا أى فرد فى تلك الحياة التى نعيشها ، يمكن وصفه بأنه ناقص من حيث استعداده الجنسى ، إن مثل هذا الشخص ليس لديه القدرة على أن يملأ حياته سعادة . أو يحقق وظيفة حياته بيولوجياً بالإكثار من نوعه .

إذا كان ثمة إنسان غير عادى من الناحية الجنسية بوجه خاص ، سواء أرجع ذلك إلى الوراثة ، أو أى طريق مكتسب ، فإن هذا النقص الذى يعانيه ، يعد عجزاً حقيقياً عن الإحساس بالسعادة ، والصحة ، فى الحياة .

إن كثيراً من الأمراض الجنسية ، وعدم القدرة الجنسية ، يمكن أن تكون نتيجة أشياء عديدة غير تلك التى يمكن تحديدها بالعجز الوراثى ، بمعنى أصح يمكن لإرجاع أسبابها إلى الجهل بالجنس ذاته ، حتى فى بعض الحالات التى ترجع إلى ناحية وراثية ، فإن جانباً منها سببه جهل التربية الفنية

الأجداد ، الذين من خلالهم انتقلت هذه الناحية الجنسية إلى الأجيال اللاحقة .

وفي الحقيقة إن فهم الجنس يعتبر مسألة هامة جداً بالنسبة لأي إدراك أصيل للحياة ، وما من شك أن النزعات اللاشعورية في التعبير لها الأثر الذي يبين طبيعتنا الجنسية ، كما يظهر ذلك في الدوافع اللاشعورية . فكل ما يدور حولنا يمكن أن نرى فيه آثار الجنس ، كما توجد حولنا أمثلة قد لايسهل علينا رؤيتها ، أو هي من الدقة بحيث لا نستطيع أن تأخذ بانتهائنا .

التكاثر. بلا جنس: إن أكثر الأشكال بدائية تتمثل في الخلية التي لها طريقة بسيطة للتكاثر ، عن طريق الانقسام . فكل خلية تكبر إلى الدرجة التي تستطيع أن تصل إليها ، ثم تنقسم وتكون خليتين . وتشبه الخلية الجديدة تماماً الخلية الأم من جميع الجوانب . كما أن الخلية التي تولدت بالانقسام . تتبع نفس النظام في الانقسام ، ولذلك ما لم يحدث أي شيء يميز الخلية ، فلأنها تصبح خلية أبوية يمكن أن تنقسم فتصبح اثنتين لها نفس الشبه عن طريق هذا الانقسام . ويمكن أن نشاهد هذه الظاهرة حتى في بعض النباتات ، فخلية من جسم النبات في دور النضج تصبح خليتين عن طريق الانقسام ، أو عن طريق دفع برعم إلى الوجود ، وكل خلية من الخليتين تتحول إلى نبات له فردية جديدة .

وانقسام الخلية يمثل أدنى أنظمة التكاثر ، الذي يأخذ شكلاً في الخضروات عن طريق البذور ، وفي بعض أنواع الحيوانات من خلال وضع البيضة . وتعتبر الطرق التي تتبع مع العمليات الأكثر تهذيباً ، التي

تنتهى بوضع بذرة أو بيضة . كوسيلة من وسائل التكاثر لها مميزاتا في تكاثر الإنسان . أو الحيوان . بوجه عام . وهى تعد وسائل جنسية . وبتتبع أثر الجنس . يمكننا أن نشاهد دوره في المحافظة على الحياة . وكلما ازداد الوعي ازدادت سعادة الإنسان . وإحساسه بالنشوة . وكلما لاحظنا الأشكال في الحياة الوضيعة . وجدنا أن للجنس دوراً هاماً يكاد يكون محور الاهتمام في كل نشاط الحياة . وأى مظهر قد لا يبدو من بعيد مرتبطاً بالجنس . حتى البحث عن الطعام . أو المحافظة على الحياة ، يمكن أن يعتبر شيئاً ثانوياً ويرتبط في جوهره بالناحية الجنسية .

وفي بعض الحشرات على سبيل المثال . تنتهى الحياة الفردية والنمو بالتمهيد للتكاثر . كما هو الحال في غير ذلك من مظاهر الحياة . وحين يحدث التكاثر . فإن حياة هذا الفرد تعتبر قد أدت وظيفتها بالنسبة للنوع ، وعلى ذلك ينتهم حياته .

كيف يصبح الجنس معقداً ؟ : وكلما ارتقينا في سلم الحياة من الناحية البيولوجية . أصبح التعبير الجنسي شيئاً فشيئاً نشاطاً محدداً ، سواء لفترة ، أو في مناسبات . بدلا من أن يكون الوظيفة الشاغلة لكل الحياة ، حتى في الأحوال التي يظهر فيها على فترات أو مناسبات . فإن هناك مظاهر جانبية لا تؤخذ بطريقة واعية على أنها مميزات للجنس ، بينما هي في الحقيقة تؤكد الجنس دون أن تكون هناك ثمرة صلة واعية بالدافع الجنسي ، أو الاستجابة الواعية .

وهذه المميزات أو الاستجابات الجنسية قد تكون جسمية ، أو نفسية ، وهى تعطى مغزى . وجمالا . وموسيقى ، للأنظمة الدنيا ،

وبالإضافة إلى ذلك . تعطى شعراً . وغزلاً . ومثالية للحياة الإنسانية .
 فإن ريش ذكر الطاووس . ومعرفة الأسد . وصياح الديك . هى أشياء
 تميز جوانب الطبيعة التى وهبتها لبعض مخلوقات . للإثارة الجنسية .
 وبالنسبة للإنسان . فقد وهبته الطبيعة أشياء مشابهة لنفس الغرض .
 وبجانب هذه الملامح الزخرفية التى تميز التعبير الجنسى الثانوى .
 هناك مظاهر أخرى عامة فى الحيوانات تعرض نفسها للتعبير عن النشاط
 الكيميائى . الذى يأخذ طريقه . ويمثل مكانه . داخل أجسامها .
 وعلى أى حال . فإن كل مظاهر الجنس فى جوهرها ما هى إلا مظاهر
 لكيمياء الجسم . التى تتكون أساساً من إفرازات الغدد الجنسية .
 واستجاباتها بالنسبة للأعضاء الأخرى . والأنسجة . والجهاز العصبى .
 ولذلك فإن الحيوانات يمكن أن تعرض أشكالاً مميزة للاهتمام الجنسى .
 وعليه فإنها تثير الجنس بالنسبة لبعضها البعض . عن طريق بعض الحركات
 والأوضاع . وعرض الجسم . والرقص . أو عن طريق فرد الريش وطيه .
 لتجذب العنصر الآخر من نفس الفصيلة .

وهذه الأفعال تعتبر غريزية تلقائية . وأحياناً آلية . وليس للحيوان
 فضل فى اختيارها ، حتى فى بعض الحالات التى يتغير فيها لون الريش .
 أو القرو . أو الشعر ، يتوقف على تأثير الكيمياء الداخلية . نوع
 السلوك الظاهرى . وهذا السلوك البيولوجى يرتبط بالتوتر أو الاسترخاء .
 فى تادية الوظيفة العضوية . وكلما ارتقىنا فى سلم الحياة ، وصلنا إلى الجنس
 المهذب الراقى ، إلى حد التضحية . والبطولة ، والإخلاص ، وهناك بعض
 الحيوانات على مستوى عال . تحقق هذه النزعات . شأنها فى ذلك شأن الإنسان .

ولاشك أن الطفل يمهّد في سنواته الأولى للحياة الجنسية ، التي تظهر بوادرها في فترة المراهقة . والتي تصل إلى ذروتها في حياة البلوغ .
دافعا الجوع والجنس : هناك دافعان رئيسيان يسيطران على الحياة العضوية ، وهما دافعا : الجوع ، والجنس . فالحياة ديناميكية وتعبر عن الطاقة . ولكي تستقر تلك الحياة لأبد من مورد دائم للتغذية . لهذا ، فإن من الدوافع الأولى للإبقاء على الحياة واستقرارها في كل المستويات ، دافع البحث عن الطعام . وقد كان هذا الدافع ، تحت ظروف خاصة بالنسبة للإنسان البدائي . قوياً يرتبط باحتفالات أشبه بالأعياد الموسمية . حين ينجح هذا الإنسان في الحصول على صيد ثمين ، كما كان أكثر ضغطاً وقوة مما نلاحظه الآن بالنسبة للإنسان المتمدين . حيث إن الحالة الأولى كانت تمثل غريزة الجوع بشكل واضح .

ومع نمو الوسائل الحديثة ، أصبح أمام الغالبية من الناس حالة من الصراع الاقتصادي ، ولكن هذا الصراع يختلف من طبقة إلى أخرى ، ويتغلف بطواهر ثقافية . وتهذبات . أصبحت من الضرورات المرتبطة بنمو عادات الإنسان المتمدين في العصر الحديث .

وبعد هذا الدافع الأساسي ، دافع الجوع الذي يعتبر غريزة الإنسان لحفظ النوع ، يأتي دافع عالمي آخر لا يقل شأناً ، هو دافع التكامل . وهذا الدافع يعتبر أساسياً مثل دافع البحث عن الطعام ، لأنه يتضمن غريزة المحافظة على النوع .

إن أية محاولة لمواجهة مشكلات الحياة دون اعتراف بكلها الدافعين ، يؤدي إلى فشل . إن مشكل التغذية ، وهو مشكل اقتصادي ، يجابه

الناس جميعاً ، فكل فرد عاوى يأمل أن يجعل من حياته الخاصة اكتفاء ذاتياً ، وذلك بما يستطيع أن يحصل عليه من الحاجات المادية . وهذا الدأب على تغطية هذا الجانب ، يظهر بصورة واضحة عند الإنسان ، حتى ولو لم يستطع أن يحقق حاجاته المادية ، لدرجة أنه عند تدريب الناشئ . يؤخذ هذا في الاعتبار . بل ويصبح شيئاً ملحوظاً قبل البلوغ ، حيث يبدأ الفرد يتأثر بالعمليات الاقتصادية ، والصراعات التي تدور حوله . حتى ولو لم يكن يفهم الميكانيزم المستروراءها .

ولكن الإنسان ينظر نظرة مختلفة . بل تتصاعد هذه النظرة لتصبح جماعية للدافع التكاثر . ويظهر هنا عامل غاية في الأهمية . يؤثر على حياة الفرد ، إلا أن النتيجة مع الأسف غالباً ما تترك للظروف والصدف .

إن نمو الوسائل المدنية ، والفرص التي منحها الثقافة الحديثة . أعطت المجال للدافع الجنسي كى يظهر . ويتأكد . ويأخذ شكل دافع الحب . ومع هذا فإن هذا الموضوع لم ينل من عناية العصر ، رغم أهميته . ما يستحق أن يناله . أو يحظى على الأقل بالاهتمام الذى كان يوليه به الرجل البدائى .

اتجاه المتوحشين نحو الجنس : إن المتوحشين يعترفون بالدافع الجنسي ، ويحاولون إعداد الصبي والصبية لمسئوليات المستقبل المتوقعة حينما توظف الجوانب الجنسية .

وفى الحقيقة ، إن جوانب الإبهام المرتبطة بالجنس ، كان لها تأثير كبير على عقلية الرجل البدائى . كان الرجل المتوحش يتصور صوراً

خارقة للعادة ، وهذه التصورات كانت تلون خيالاته الجنسية ، التي كانت لها دلالتها الخاصة في الديانات البدائية . ولذلك فإن الرمز الجنسي يعتبر من أقدم الأشياء في ميراثنا الاجتماعي ، وكلما اتجهنا بعقلنا إلى الوراء سنجد أن الإنسان كان يعبد القوى المستجة للطبيعة .

ونجد بين الشعوب البدائية ، أن الظاهرة الجنسية كانت تمارس بأشكالها الطبيعية دون تقنع . ومازلنا نشاهد أمثلة لهذه المظاهر البدائية حتى يومنا هذا . ومع ذلك فمروور الزمن ، وفقدان بساطة الحياة . والأساليب البدائية ، نشاهد أن العادات الجنسية تشكلت ، وتغير مظهرها . إلى صور أكثر تهذيباً .

ونتيجة لهذا ، ظهر بالتدريج عزوف عن العبادة الغفلة للأعضاء الجنسية ، وللعمليات الجنسية ، ولتمثيل الظاهري ، واستبدلت بتعبيرات رمزية للممارسات الأولية . ومازلنا نستطيع أن نرى حولنا ، وبصورة مادية ، وأحياناً بطريقة مةمة ، وأخرى واضحة ، هذه الرموز في حياتنا اليومية . وبعض هذه الصور القديمة التي تمثل ميراثاً رمزياً ، ما زالت تحمل في طياتها حيوية كبيرة ، بل ولها تأثيرها الانفعالي على حياة الإنسان المتمدين ، وعلى خياله .

وإذا نظرنا إلى العصور التاريخية ، نشاهد أشكالاً مختلفة لعبادة الجنس ، وتأكيد أعضاء التناسل . كان البغاء المقدس وأشكال أخرى شبيهة ، تمارس عند المصريين القدماء ، والفينيقيين ، والبوليين ، واليونانيين . والهنود الشرقيين . وغيرهم من الشعوب هنا وهناك . إننا لانشاهد فقط آثار رسوم الأعضاء التناسلية في القطع الأثرية التي

خلفتها تلك الأجناس ، بل ما زلنا نشاهد أيضاً حتى وقتنا هذا ، هذه الرسوم فوق جدران بعض المعابد للشعوب التي تلت .

تنوعات متعددة لعبادة الطبيعة : هناك صور متعددة لعبادة الطبيعة . منها على سبيل المثال : الاعتقاد في قدرة الشمس وتأثيرها الإخصابي على الأرض ، وعلى ذلك فإن عبادة الشمس لها ارتباط بالممارسات الجنسية الإنسانية ، وكذا خصوبة الأرض .

ومن أفضل الأمثلة المعروفة عن البغاء الديني ، تلك الشعائر التي كانت تمارس في معابد فينس الكلدية^(١) . والتي كان يطلق عليها « ميليتا »^(٢) . كما ذكرها هيرودوت . واسترابو ، وغيرها : عن طريق الملاحظة المباشرة . وهناك شعائر شبيهة متعارف عليها كانت تمارس في فينيقيا . وكارساج ، وسوريا . وكانت تعرف فيها ميليتا أو فينس باسم « أستراتا »^(٣) .

وعبادة الجنس بالنسبة للكتاب الحديثين . يشار إليها غالباً تحت كلمة^(٤) مشتقة من اسم إغريقي استعير للإنجليزية في صورته اللاتينية^(٥) ، وهي كلمة تشير في صفتها^(٦) إلى عضو التناسل الذكري للجيل .

إن الأسطورة المشهورة عن سان باتريك وهو يحاول أن يطرد الشياطين من إيرلندا . ترمز إلى محاولته استخراج الشعائر الجنسية التي كان

Mylitta (٢)
phallicism (٤)
phallus (٦)

Ghalden Venus (١)
Astrate (٣)
phallus (٥)

يعبر عنها بطريقة رمزية ممثلة في الثعبان ، وهو من أوضح الرموز التي تشير إلى الإخصاب^(١).

وفي العصور القديمة . كانت صورة العضو الذكري ، أو صورة الجانب الظاهري لعضو الأنثى . من التأمم الشعبية الشائعة التي يلبسها كل من الرجال والنساء على شكل تعويذة . أو حجاب . يمكن أن يجاب لهم « الحظ السعيد » . وهذا الرمز كان يعتقد أيضاً أنه يحوى القوة على منح الرجولة^(٢) أو القدرة على الإخصاب . لمن يحمله . وهناك تعاويذ مشابهة . لكنها أكثر تنكراً في رموزها . ما زالت من الأشياء الشعبية التي يفتننها النساء .

وهناك مصطلحات أخرى شائعة توضح الرموز الجنسية . أحدها « لينجام أو لينجهام^(٣) . ويشير إلى عضو الذكر . والآخر « يوني^(٤) » ويشير إلى عضو الأنثى .

إن نوافذ وأبواب الكنائس والكاتدرائيات وفتحاتها . غالباً ما تأخذ الأشكال التي توحى بعضو التأنيث . وغالباً ما تستخدم ليوضع في مقامها التماثيل الدينية . وتوضح لنا هذه الظاهرة كيفية استخدام الرموز الجنسية بصورة متصلة . تبدو فيها مرتبطة بالظواهر الحارقة ، أو الطقوس الدينية ، سواء كان ذلك بطريقة شعورية . أو لاشعورية . ولعل هذه المناقشة ترينا إلى أي حد يرتبط الجنس بالحياة البشرية ،

virility (٢)

yoni (٤)

procreation (١)

lingham (٣)

ويبين تراث الإنسان في اهتمامه بالمجال الجنسي . هذا بجانب الاهتمام البيولوجي بصلة الجنس بالحياة ذاتها .

البرود الجنسي : ويعتبر من الموضوعات الهامة التي تثار حول فصل الجنس عن الحياة . وترجع أسباب البرود الجنسي في حالات كثيرة . إلى ظروف وملابسات قديمة . والبرود الجنسي أو الأناسيزيا الجنسية^(١) . أنواع . وتختلف درجة الإحساس الجنسي من فرد لآخر . مثلما يختلف المزاج الإنساني . ويمكن أن نوضح في هذا المقام نوعين من البرود : أحدهما ذو أساس بيولوجي . والثاني برود مزيف^(٢) . والنوع الأول يولد الإنسان عادة مزوداً به . ويبدو على صورة نقص في الإحساس الجنسي . ينتهي بسوء تكيف جسمي من الناحية الكيميائية . ومن أسباب هذا النوع من البرود ، النقص في نظام الغدد الذي يعطل الرغبة الجنسية العادية . وليس من اليسير تحسين هذه الحالة . إلا إذا استطاع الطب أن يعيد الحيوية للغدد التالفة . حيث تستطيع أن تؤدي من جديد وظيفتها ، كما يحدث بالنسبة للغدد عامة . لكن تلف الغدد الوراثي لايسهل في أغلب الحالات علاجه .

أما النوع الثاني من البرود الجنسي الذي اعتبر مزيفاً . فليس له أساس عضوي . وإنما الشخص الذي يعانيه وضع في ظروف اشتراطية قوية كابته ، عن طريق تدريب خاطئ . وغير منطقي . ومثل غير سليمة . أو خبرة مصلدة في حياته المبكرة حتى توتر شعوره الجنسي العادي .

ويعمل النساء أغلب حالات هذا النوع . ولأسباب واضحة يتعرض هؤلاء النساء للتأثيرات الكابتة التي تنتهى بهذه الظاهرة . وهذا البرود المزيف قد يسهل علاجه لأن أسبابه غير بيرواوجية . لكن في الحق : إن الظروف التي تؤدي إلى هذا النوع من البرود . ليس من السهل التغلب عليها أو معالجتها . ومن بين الأسباب الرئيسية في صعوبة العلاج ، أن الذين يعانون من هذا النقص لا يريدون عادة أن يعالجوا . لهذا فهم يمثلون في الحقيقة مشكلة سيكولوجية عامة ، وليس من سبيل لهلاجهم إلا عن طريق إعادة تربيتهم تربية نفسية جديدة . وكما نعلم أن الناس لا يرغبون عادة أن تعاد تربيتهم ، وخاصة إذا كانوا قد وصلوا إلى تكوين مفاهيم جامدة . فالصعوبة كبيرة . وفي أغلب الأحيان يعتبر التغلب عليها ميثوساً منه . ومع هذا ، إذا كانت الشخصية التي تعاني من هذه الظاهرة لديها عقل متفتح بحيث تستطيع أن تدرك الموقف . ويمكنها أن تحاول التغلب على العقدة . فإن مثل هذه المرأة تستطيع أن تعود إلى حالتها الطبيعية . خاصة إذا صادفت نصحاً أو معاونة من إنسان له قدرة على الفهم وتبصر مشكلتها ، فإن توجيهه يحقق نجاحاً ملحوظاً .

جوانب أخرى من القدرة الجنسية : إن المرأة التي تعاني من البرود الجنسي ، ومن الكبت المرتبط بالإحساسات الجنسية . غالباً ما تمثل مشحلاً بالنسبة لكل من يحاول أن يكون صلةً معها . والمرأة التي تعاني من النقص الجنسي ، غالباً ما تحاول أن تعوض هذا النقص بإظهار حماسها في مجالات أخرى من النشاط . كان من الممكن أن تكون بالنسبة للمرأة العادية هي حياة الجنس والحب . أما تلك المرأة التي تعاني

من البرود الجنسي ، فإن حماسها الشديد في هذه الأنشطة المختلفة يبين في الحقيقة عدم اتزانها الانفعالي ، وهي ظاهرة واضحة في مثل هذه الحالات مهما كانت عقلية المرأة من الناحية الاجتماعية ، ومهما كانت مثاليها .

وهذا النوع أيضاً يمكن أن تشاهد له أمثلة في الرجال . ولكنه لا يظهر بشكل مميز ، ثلما يبدو في حالة النساء . ومن الطبيعي أن غالبية النساء اللاتي يعانين من الكبت النفسى ، لانتتمين إلى هذه الطبقة . إنهن غالباً ما يكن زوجات بيوت . أو سيدات بلا أزواج ، لا يلفتن النظر أكثر من أى وضع عادى ، وكل مشكلاتهن ترجع في أغلب الحالات إلى تربية خاطئة ، أو تربية تنسكية . استطاعت أن تلف عقولهن بعقائد تنطوى على أن كل تعبيرات متصلة بالطبيعة الجنسية ، ما هى إلا أشياء مزرية . حزينة ، وغير خالصة . وحين تبدأن العيش وفقاً لمثالياتهن . أو حتى حين يصلن إلى نوع من التوفيق في وضع زواجى ، فإنهن يدفعن ثمناً غالياً بعداب روحهن . لما يعانينه من نقص في الفهم بسبب سخريتهن بالقوانين العامة للطبيعة .

ويؤكد الدكتور نيستروم^(١) الحججة السويدى في هذا المقام . أن العدد الكبير من الحالات الباردة ، يمكن أن نجدها بين النساء اللاتي يظهر برودهن حتى في أثناء تأدية العملية الجنسية ، يظهرن بشكل مضاد ، ويبدون كجمث ليس إلا . إنهن يولدن ، وينتقلن خلال الحياة آكلات شاربات . لاهسات ، دون أى شعاع من الحب ، يمكن أن يجرك

وينعش وجودهن الذي لالون له . إن الأتربة التي تعودهن الخطيئة والتي بنيت على نوع من التنك . والمبادئ التصوفية يمكن أن يعزى إليها اللوم لهذه الحالة. غير الطيبة يشعر هؤلاء النساء المتزوجات ويعبرن عن حالة من السأم والتفرز في أثناء العملية الجنسية مع أزواجهن . وهن لا يسمحن بتأدية هذه العملية إلا كشيء من التضحية . معتقداتهن يفعلن شيئاً خاطئاً . أو باعثاً للإحساس بالذنب .

إن المثالية الخاطئة التي يعزى إليها محاولة فصل الجنس عن حالات الحب ، وهو أمر متناقض في حد ذاته . لم تنجح إلا في خلق جراب من الأذى لا تحصى . وبما هو مشكوك فيه أنها على الأقل قد نجحت في منع الاختلاط الجنسي . وفي الحقيقة إن هذه الوسائل الحاسمة التي أثرت على مدعى الحشمة . كانت على العكس باعثه على استشارة جنسية مغالاً فيها . كرد فعل مضاد .

الخطأ في أفكار الجنس : إن ربط العملية الجنسية بالإحساس بالذنب يمكن إرجاعه إلى بعض المعتقدات الدينية . بل لعله يرجع إلى فكرة عدم نقاء المرأة التي كانت تمثل وسواساً بالنسبة لكل مؤسس الديانات المبكرة . وقد ظل هذا الأثر ينتقل من جيل إلى جيل حتى العصور الحديثة .

وعلى سبيل المثال : إن القانون الكنائسي يقول إن النساء اللاتي يخضن فترة النفاس ، يجب أن يمتحن في المنزل على الأقل ستة أسابيع بعد ميلاد الطفل ، حيث إن عادة المسيحية ونظامها ، يقتضيان ذلك كما تقتضيه حالتهم الصحية . وبعد هذه الفترة يمكن أن يجري لهم

الشعائر الكنائسية كما هي العادة . فبعد ميلاد طفل أى بعد تحقيق أسى وظيفة تقوم بها المرأة . فإن الأم يجب أن تطهر^(١) قبل أن يسمح لها بالانخراط في سلك الكنيسة .

أما اليهود القدامى الذين اعتبروا النساء مخلوقات متخلفات ، كما يمكن أن ندرك هذا من تقاليدهم القديمة وكتاباتهم . نظروا إلى الزواج نظرة لانقل ازدراء . فاتجاههم أثر على الديانة المسيحية . كما هو الحال في مجالات أخرى . يقول « جرمايا » مثلا إن الأرض تمتلئ بالزواج . ولكن السماوات تمتلئ بالبكارى . أما بول^(٢) مؤسس العقيدة الدينية المسيحية ، فقد وضع العزوبية فوق الزواج . وعلى ذلك يضع نفسه في توافق وبدون خطأ في رسالاته^(٣) إلى الكورنثيين . في الحقيقة كان بول منزعجا من فكرة ذنوب الجسد . وبعد هذا نجد أن الكنيسة احتضنت أخلاقيات كل عمليات الكبت المتصلة بالجنس حتى للدرجة التي تحطم فيها الزواج كما فعل بعضهم في بعض الحالات بأسلوب لا يحتمل التوفيق . وعلى ذلك نبع الموقف الذى يضطر القديسين للعزوبية .

إن محاولة استنكار الجنس تبدو واضحة في ديانات متعددة ، فكل القصص التى تروى عن ميلاد قادة الديانات تشير إلى ميلادهم بدون خطيئة ، أى بدون الذنب المرتبط بالجنس . هكذا تصوروا المسيح ، كما تصوروا بوذا على أنه صورة خارقة . فأم بوذا كانت فقية ومعلمة ، مثلما كانت الأم مريم العذراء ، فالقديس البوذى يجب ألا ينغمس في أى علاقات جنسية ، كما يجب ألا يكون بينه وبين أية امرأة صلة

جنسية من أى نوع ، والعزوية أيضاً من التقاليد التى يمكن أن نلمحها مع بعض القديسين فى الصين .

المثل الدينية المبكرة : إن العوامل المرتبطة بمفهوم الجنس على أنه شىء مثير للذنوب ، شىء غير نقي ويبعث على السأم ، لكنها أمور تظهر بوضوح مدى تعقدها ، ولكنها فى الوقت نفسه يمكن أن نجد لها جذورها فى مثل الإنسان ، ودياناته المبكرة . ومع ذلك يجب أن نتذكر أنه فى الوقت الذى كانت تظهر فيه تلك النزعات . لم تكن هناك معرفة نسبية واضحة بطبيعة الجسم الإنسانى ، وحاجاته العضوية ، وما يحتاج إليه من سيطرة ذهنية على الوظائف الطبيعية للأعضاء التناسلية .

وكانت الديانات التى تحث على المثل . والعزلة ، تغيير بطريقة غير مباشرة ، فتحدث مغالاة فى الانغماس فى الجنس . ولم يكن لفظ جنس راجعاً لشيء إلا للفظ بهرج الحياة فى هذا الوقت . ولا يمكن أن يكون ذلك تفسيراً كاملاً للدوافع اللاشعورية التى تختبئ خلف المحاولة الدراماتيكية لجعل الطبيعة البشرية غير مستساغة قانوناً . لعلها من الأشياء الحارقة للطبيعة التى يمكن تبريرها نظرياً ضد بعض قوانين الطبيعة التى لم تكتشف بعد . ولكن القانون نفسه ينطبق على ممارسة العملية بنفس المنطق ، ينطبق عليها عن طريق خلقه لنوع من الاستجابة السقيمة لأن العملية ، فى ذاتها لم تكن مفهومة ، وأنها تخلق فوضى حينما نفعل عنها . ولا يمكن أن نقر بأن العزوية هى شىء مستساغ بالنسبة للحياة العادية لشخص بالغ ، وقد نجد مع ذلك بعض الأشخاص الذين ينجحون نحو العزوية لأسباب فى تركيبهم الجسمى ، والنفسى ، الأمر الذى لا يجعل العزوية شيئاً له ضرر كبير بالنسبة لهم . وفى الحقيقة إن أشخاصاً

من هذا النوع ، غالباً ما يكونون من أرق أنواع الناس ، ويواجهون أسباباً تنتهى بهم إلى تفضيل العزوبية ، ولكن هؤلاء لا يمكن اتخاذهم أمثالا للرجال العاديين أو النساء ، ولا يمكن الاحتذاء حذوهم .

وفى العادة فإن أولئك الذين يمرون فى ظروف تنتهى بهم مضطرون إلى تفضيل العزوبية على غيرها ، أو الذين يوضعون فى أوضاع اجتماعية تفرض عليهم العزوبية ، فإنهم يظهرون بشكل متميز تأثيراتهم الساطحة على الوضع العزوبى^(١) .

الجنس والتربية : وما تقدم يمكن أن ننبين إلى أى حد يحتاج الفهم الجنسى إلى إعادة نظر من ناحية العادات البيئية الموروثة حوله وأثرها فى الكبت النفسى الذى له دلائله فى عرقلة نمو الشخصية . وقد آن الأوان أن يعرف التلميذ فى التعليم العام شيئاً عن تركيبه البيولوجى ، والوظائف الجنسية التى يؤديها حفاظاً لأنواع .

وقد بدأنا منذ فترة نساير الغرب فى اتجاهاته فى اختلاط الجنسين فى التعليم العالى والجامعى ، هذا مع وجود الاختلاط فى المرحلة الابتدائية وفى بعض مدارس اللغات الأجنبية ، لكن هذا الاختلاط ولو أنه يخفف كثيراً من التوتر النفسى ومن الانفعالات المغالى فيها التى تحدث بين الجنسين حينما يغالى فى عزل كل عن الآخر ، إلا أن هناك عادات كثيرة لم تكتسب بعد لجعل هذا الاختلاط صحيحاً ومثمراً .

(١) عديد من حقائق هذا الفصل مستخلصة من مؤلف للكاتب الأمريكى وليام فيلدنج

William J. Fielding, *Sex and the Love Life*, N.Y. : Permabooks, 1948.

فما زالت العادات القديمة التي أوجدت زى المرأة المتستر كالملائة والبرقع . والذي ما زالت مظاهره تشاهد حتى اليوم في الصعيد ، وفي المناطق الشعبية . وهذه العادات ما زالت هي الطاغية المسيطرة عند كل من الرجل والمرأة . بل وعند المرأة بوجه خاص .

فإذا تصادف أن تحدثت طالبة إلى زميلها . ورؤيت معه في حوار في فناء الكلية أو في الشارع . فإن ذلك كفيلاً أن يثير إشاعات كثيرة حول هذا الوضع . ولذلك يضطر الجنسان إلى التستر على اللقاءات التي يضطران إليها ، وفي التستر تحدث مشكلات أكثر تعقيداً مما يدل على أننا نترك المفاهيم عن الجنس في صورة سلبية لم نستفد فيها من تجارب الأمم التي تقدمتنا .

وتزداد المسألة تعقيداً في أمور الزواج التي ما زالت تخضع للعرف الاجتماعي ، ولتقاليد جامدة مما يعقد الحياة الأسرية . ويخرج للمجتمع سلالة هي وليدة الضيق النفسي الذي ينتج من الحياة الزوجية غير المتكافئة . وكما يقول المثل « كل بيت مقفول على همومه » .

وقد آن الأوان أن نغير كثيراً من العادات الجامدة حول الجنس ونخلق جواً جديداً للشباب يمكن أن يتحسروا فيه السعادة . وينتهي بالشباب والشابة إلى اختيار كل منهم للآخر حياة زوجية سعيدة . ولتحقيق ذلك ينبغي أن نأخذ بالمبادئ الآتية :

١ - أن يكون من بين البرامج التي تدرس للشباب مقرر عن الجنس والحياة الجنسية ، ودور الرجل والمرأة . ويدعم بالفهم العلمي وبالصور من زوايا بيولوجية ، نفسية ، واجتماعية . ودينية . وتاريخية .

٢ - أن تخطط بعض البرامج الرياضية ، والترويجية المناسبة التي يمكن أن يشترك فيها الفتي والفتاة ، ويتعرف كل منهما على الآخر في أثناء تأدية نشاط مشترك ، كالتنس ، الجولفة ، التمثيل ، الرحلات ، النشاط الثقافي . الأبحاث البيئية والاجتماعية .

٣ - إدخال ألوان من الرقص الفولكلورى الذى يجمع الفتي والفتاة في نشاط حى .

٤ - إدخال أنواع من الفنون : كالرسم ، والنحت ، والشعر . والأدب ، والتمثيل ، والموسيقى ، والغناء التي يمكن أن يحدث فيها أداء فردى أو جماعى مما يوطد الروابط بين الجنسين .

٥ - تنمية دستور للعلاقات بين الجنسين يسمى الصداقات بدون انحرافات ويتم على أساسه التعامل بمزيد من الفهم .

٦ - توسيع دائرة الفهم لمغزى الجنس وعدم قصره على الفهم المادى للعملية الجنسية، بل يجب أن تمتد النظرة لإدراك التطور الجنىسى من المهد إلى اللحد . والأشكال التي يمكن أن يتخذها في مراحل النمو المختلفة .

٧ - يجب إعادة الفهم العلمى للجنس حتى يتغير مفهوم الإحساس بالذنب المرتبط باختلاط الجنسين إلى مفهوم بنائى من الناحية الاجتماعية .

٨ - يجب التسليم بأن الحب أساس المجتمع ، بل أساس تكوين الأواصر النامية بين الجنسين بصورة مهذبة ، واستنكار الحب أو النظر إليه كجريمة اجتماعية ، لا يخلق في النهاية لإشخصيات معقدة ، فاشلة في قدرتها على التكيف ، والإحساس بالسعادة في الحياة .

٩ - يجب أيضاً التسليم بأن الحب هو الدافع الرفيع وراء كل شاعر وموسيقى . وقصاص . بل وراء كل فنان حساس استطاع أن ينمى بصيرته إلى مستوى التفلسف . وأفاد المدنية بإحساساته المرهفة . وحيماً يكبت الحب لا يؤدى إلاّ إلى مأس . وفان جوخ خير مثل على ذلك . إن الشخص الذى لا يحب . بل والذى لا يسمح له بالحب : قد تتولد فى صدره المأساة بعدم الإحساس بالغير . فيؤتى أفعالاً شريرة غير اجتماعية لآخر فيها .

١٠ - فى الوقت الذى سارت فيه البلاد شوطاً بعيداً نحو تحرير المرأة وإعطائها مكانتها فى المجالس والأجهزة الشعبية والوظائف . آن الأوان لإعادة النظر فى العادات التخلفية التى تصور المرأة أنها مستعبدة للرجل . وليس لها إرادة أو حق الاختيار . بل كل الآادات التى تضع المرأة موضع الجنس التابع الذى ليس له حق فى الحب يجب إعادة النظر فيها لنساير الأمم التى تغلبت على العقد الجنسية المختلفة . ونهضت من كبوتها .

١١ - آن الأوان لإدراك أن الكبت والقمع والحردان قد تكون وسائل ضاغطة على الاستعداد الجنسي ليختفى من الصورة الاجتماعية ، ولكن الحقيقة أن هذه الوسائل تزيد شراسة ، وتحوله إلى طاقة بنفس عنها سرياً بوسائل غير مشروعة اجتماعياً ، فتأتى الأضرار أشد مما يتصور دعاء الكبت والقمع والحردان . ولذلك فإن ظهور الدافع يحتاج إلى مواجهة للتسامى به وتعريفه فى أمور تجلب السعادة . بدلا من تشجيع الحرمان وما يرتبط به من مسالك سرية .

١٢ - كثير من الشباب الذين يصلون لسن الزواج يتزوجون وليس عندهم مفاهيم علمية سليمة لكثير من تفاصيل الجنس ، ويواجه الزوجان أحدهما الآخر بنوع من عدم الفهم ، والمحاولة والخطأ ، وعدم القدرة على التكيف ، بل والإحساس بالذنب الذى يجعل من الحياة الزوجية شيئاً تعيماً بالنسبة للطرفين . ولذلك فإن الفهم المتبادل ، ونمو عاطفة الحب السامية ، يجعلان من حس كل من الطرفين شيئاً مرفهناً يراعى فيه الواحد الآخر ، ويساعد على إنجاح الحياة الزوجية ويملؤها سعادة . ويحولها من مجرد شكل نمطى اجتماعى إلى عشق وتфан وأمل وتثبيت بالحياة وبنائها لسعادة الأطفال ، وسعادة الزوجين معا . إن هذا التفاهم لا يتحقق بالعزلة ، وإنما يتم بالاختلاط السليم قبل الحياة الزوجية . ذلك الاختلاط هو الذى يمهّد لنمو المشاعر وصقائها ، والتدرب على التكيف للجنس الآخر ، وفهم حاجاته . والنجاح فى تلبيتها وتحقيقها .

الجنس والتربية الفنية : وقبل ختام هذا الفصل يجب التنويه بأهمية التربية الفنية فى التربية الجنسية وبخاصة فى دور المراهقة الذى يشغل فترة المرحلة الإعدادية والثانوية من حياة المتعلم . فالفن أصلاً وسيلة للتعبير عن المشاعر ، ومن بين تلك المشاعر النوع الرومانتيكى الحالم الذى يعكس الشعورية التى يحس بها كل جنس تجاه الآخر ، والفن أيضاً وسيلة هذا التهذيب؟ وكيف ينجح مدرسو التربية الفنية فى أن يعبءوا دوراً فعالاً فى حياة التلاميذ الجنسية ليجعلوا من مشاعرهم شيئاً مهنذباً مقبولاً من الناحية الاجتماعية ، ومتسامياً خالصاً من العقد ، وألوان الكبت ، التى تعرقل الشخصية ، وتتحرف بنموها .

إن أمام مدرس التربية الفنية وسائل عديدة لتحقيق هذا الهدف من اختياره للموضوعات والحامات والأدوات ، وكذلك اطلاع التلاميذ على نماذج من التراث التي نجح الفنانون فيها في التعبير عن مشاعر اتجاه الجنس الآخر ، هذا بجانب الجو الذي يستطيع أن يخلقه المعلم ليجعل التعبير حراً صادقاً منفصلاً عما يختلج في كيان الطالب أو الطالبة . وفيما يلي نقاط محددة يمكن النظر إليها عند وضع برنامج للتسامي بالحافز الجنسي من الوجهة الجمالية والاجتماعية :

١ - في اختيار الموضوعات . يضع المدرس نصب عينيه أن الموضوعات التي كانت تناسب مع سن السابعة أصبحت لا تناسب مع سن الخامسة عشرة لتغير النفس والجنسي المثير لاهتمامات جديدة مغايرة لما كان حادثاً في مرحلة الطفولة المبكرة . ولذلك فإن الموضوعات الرومانتيكية التي تقوم أساساً على العطف ، والتعاطف ، والحب ، من أهم ما يثير الطالب والطالبة في سن المراهقة . فموضوعات حول قيس وليلى ، أو عنتر وعيلة . أو روميرو وجولييت ، هي قيم في التسامي الشعري في الحب والتضحية والوفاء . -تتبع حينها تعالج موضوعات تتصل بتألف الطيور والحیوانات وانسجامها بعضها من بعض لمثير أيضاً للتلاميذ في هذه المرحلة .

٢ - في اختيار الحامات ، هناك أنواع تساعد على الحس والتحميس : كالطين ، والحجر ، والخشب ، التي قد يصوغها الطالب والطالبة في صورة تماثيل عن الجنس الآخر تبين مفاهيمه الجمالية ، وتعكس حساسيته الشعرية الرقيقة . فحينما تشكل الموضوعات بحامات ملائمة ومنحدية من الناحية العضلية ، فإنها ترنح من زاويتها التنفسية .

٣ - أما الأدوات ، فالنوع الذي يتصل بالقدرة التفضيحية على

الأداء يكون محبباً لدى طلاب هذه المرحلة من استخدام الأشياء اليسيرة التي كانت تستخدم في المرحلة الأولى . ولذلك فإن الآلات الكهربية . والمطارق ، والمناشير ، وغيرها من الأدوات التي يمكن للفني أن يستغل بناؤه الجسمي في حسن استخدامها ، تعطيه وقتاً ممتعاً يعرف طاقته فيها وقد تجد الفتاة في الضغط بالآلات البسيطة على الصفيح أو في نحت الخشب ، أو الإبر التي تشكل الصوف ، وتغزله . وسائل ملائمة لتسجيل المشاعر والتعبير عنها .

٤ - وفي التراث الفني نماذج لاحصر لها لارتباط الجنسين . إذا تذكرنا صورة آدم وحواء . وكيف لعب عليها الفنانون منذ عصر النهضة وما بعدها . ليبيّنوا اتصال الجنسين . والعلاقة الوثيقة بينهما خصوصاً بعد طردهما من الجنة . وهناك تماثيل لإغريقية تعكس النسب الحميلة للمرأة . وكذلك صور من أعمال تشان ، وروبنز ، وغيرهما . مائة بالقيمة التي تكشف عن جمال الجسم وفتنته . موضحة بالألوان البديعة التي تسحر الألباب . إن رؤية هذه الأعمال الفنية الخالدة فيه تهذيب للنفس وتسام بالجانب الجنسي حيناً ترى الإحساسات معكوسة بصور مهذبة في التصوير . والنحت . والنحت البارز ، والنحت الصغيرة .

٥ - وفي طريقة التدريس . يقوم العمل المشترك في المدارس المختلطة بخلق جو اجتماعي ناجح ، يوطد الأواصر بين الجنسين . والفن مجال فسيح . مليء بالأنشطة التي تيسر الأعمال المشتركة الجماعية في التصوير ، والأشغال الفنية . وفي المسرحيات ، وديكوراتها ، ومجلة المدرسة ، ومجلات الحائط .